مقال

# هل نعتزل العمل العام في رمضان؟

أ. مصطفى البدري

مركز الشيخ
علي الغريّاني للكتاب

في رجب من العام الثاني من الهجرة بعث النبيُّ صلى الله عليه وسلم سريةَ استطلاع سُمِّيت (**نخلة**) وجعلَ على رأسها عبد الله بن جحش رضي الله عنه، وفي آخر أيام شهر رجب أدركوا قافلة لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، فقتلوه وأسروا رجلين وغنموا القافلة ورجعوا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، وتكلم الناس بعد ذلك في أمر قتلهم لعمرو وهجومهم على القافلة في الشهر الحرام (**رجب**).

ومع تنوع الأجوبة التي تناولتها كتب السيرة عن هذا الإشكال، إلا أن البيان القرآني تجاوز ذلك كله، وجاء بجواب حاسم وقاطع {**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ**}، حيث أثبتت وقوع المخالفة، وبينَ أنها كبيرة وليست بالأمر الهيّن، لكن في ذات الوقت هناك ما هو أكبر من ذلك وأعظم عند الله، فهناك كفر بالله وبالمسجد الحرام، وهناك اعتداء على الدماء والأموال والأعراض، وهناك فتنة الناس ومطاردتهم وملاحقتهم وصدهم عن الدين وإرغامهم على الكفر (**وما أشبه الليلة بالبارحة**)، المهم أن القرآن ثبّت لنا القاعدة العامة: إن بعض الشَّرِّ أهون من بعض، وأن الفساد الأكبر يُدفَع ولو بفساد آخر أقل.

والفقيه هو الذي يعرف خيرَ الخَيْرَيْن فيقدمه وشرَّ الشّرّين فيؤخره؛ والموفق من وفقه الله.

## ◆ عناوين براقة قبل رمضان

قبل شهر رمضان من كل عام تثار قضية اعتزال العمل العام، وتصدر دعوات كثيرة من نوعية: أعلن لكم الآن اعتزالي وسائل التواصل الاجتماعي طوال شهر رمضان/ إخواني الكرام: سيتوقف البث في قناتي خلال شهر رمضان لانشغالي بالعبادة/ مع الأسف.. مضطر لإغلاق الحساب حتى انتهاء شهر رمضان المبارك/ عملًا بنهج سلفنا الصالح ينبغي أن نغلق كل شيء وننشغل فقط بالقرآن/ القرآن، الذكر، الدعاء، فضلًا عن الصيام والقيام.. شغلنا الشاغل في رمضان!! إلى غير ذلك من الشعارات التي تدور حول معنى الخلوة والاعتزال.

ويستشهد أصحاب هذه الدعوات ببعض آثار واردة عن السلف الصالح تفيد هذا المعنى؛ في حين تقفنا نظرة سريعة في سيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم على أهمية فقه الموازنات وترتيب الأولويات في مثل هذا الحال.

فقد صام (صلى الله عليه وسلم) وقام واعتكف، كما كان يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام؛ وفي نفس الوقت كان يعلم الصحابة أمور الوحي، ويسعى في الصلح بين الناس، ويدعو الكفار إلى الله عز وجل، ويجاهد المحاربين والمتجبرين (كل ذلك في رمضان).

## ◆ نماذج من معارك رمضانية

وقعت غزوة بدر الكبرى في رمضان من السنة الثانية للهجرة، وكذلك فتح مكة في العام الثامن من الهجرة، وكانت توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام للمجاهدين بالفطر في رمضان واضحة وصريحة، فعن أَبي سعيد الْخُدْرِيَّ رضي اللَّه عنه قال: «**سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَأَفْطِرُوا وَكَانَتْ عَزْمَةً، فَأَفْطَرْنَا**» (رواه مسلم) بل إنه عليه الصلاة والسلام قد صرح بأن المفطر الذي يقوم بخدمة الصائم يحصل على أجر أكبر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، فأَمَّا الَّذِينَ صَامُواَ فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ، وَامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ: ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ اليَوْمَ بِالأَجْرِ**» (رواه البخاري ومسلم)

وقد سار الصحابة والتابعون والقادة على نهجه عليه الصلاة والسلام في عدم اتخاذ رمضان ذريعة لترك الجهاد، فكانت **معركة البويب الطاحنة** (رمضان 13هـ) وهي أقوى معارك الفتوح الفارسية قبل القادسية، وكان **فتح الأندلس** بقيادة طارق بن زياد في رمضان سنة 92هـ، و**معركة عمورية** التي قادها المعتصم 223هـ، وكانت **عين جالوت** بقيادة قطز في رمضان

عـام 658هـ، و**معركـة شـقحب** (بالقـرب من دمشـق) 702هـ، و**فتـح بلجراد** بقيادة السـلطان سـليمان القانوني عـام 927هـ.

## ◆ لمن هذا الكلام؟

هـذا الكلام غيـر موجه بالدرجة الأولـى للمجاهدين في سـاحات مقاتلة أعداء الديـن، ولا المرابطيـن على الثغور والحـدود في مواجهة الكفـار المحاربين أو المجرميـن الصائليـن؛ فهـؤلاء لا جـدال ولا نقاش فـي أولوية مـا يقومون به وتقديمـه على غيره مـن الأعمال.

لكنـه موجـه فـي المقـام الأول إلـى فئـة الدعـاة والمثقفيـن والكتَّـاب، أئمة المسـاجد ورواد المنابـر ورموز وسـائل التواصـل، الذين هـم ردء المجاهدين وظهرهـم والمنافحـون عنهـم مـن جهة، ومـن جهة أخـرى هم قـادة معركة الحجـة والبيـان أو جهـاد الكلمة واللسـان والرد علـى الشـبهات والاتهامات، وهـم حائـط الصد أمـام حملات التهويد والتنصير والتشـييع التـي يتحرك لها أصحابهـا ليل نهار، وهم الشـوكة فـي حلوق العلمانيين والشـيوعيين ودعاة الإلحـاد؛ فهـم الذيـن يحفظون شـباب المسـلمين مـن الضـلال والانحراف، وهـم الذيـن يشـغلون أبناءنـا وبناتنـا بالخيـر بعيـدًا عـن مسلسـلات العهر والفجـور التي تنتشـر فـي رمضان، وهـم الذين يسـاهمون في ضبـط بوصلة الأمـة وتوجيههـا إلى حيـث يرضى عنهـا ربُّها.

وحتـى لا يفهـم كلامـي في غيـر موضعه، أؤكـد على أن حـق الخلـوة والتعبد مكفـول للجميـع، دون أن يؤثـر ذلـك علـى سـير العمـل العام فـي طريقه بلا توقـف أو تباطـؤ، وليكـن الأمر كمـا قال عمر بـن الخطاب: (**خـذوا حَظَّكُم من العزلـة**) وقـال (**العزلـة راحة من خليـط السـوء**) أي: إن العزلة أمـر له وقته الـذي يحتـاج إليه كل شـخص عنـد وجود أسـبابه، فلا تكون دائمـة ولا دعوات عامـة فـي مواسـم معينة، وأظـن أن دعاة العزلـة في رمضـان متفقون معي علـى أننـا لـم نصـل بعـد إلى زمـان الفتن الـذي يكـون فيه «**خيـرُ مـالِ الرجل المسـلم غنـمٌ يتبـع بهـا شـعَفَ الجبـال**» (رواه البخـاري)، لأننا لـوَ وصلنا لهـذه المرحلـة لمـا كان لتخصيص رمضـان بالاعتـزال أي معنى.

هـذه دعوة للاتـزان والتوسـط، حيث يـؤدي أحدُنـا عبادتَه الشـخصية، ويقرأ ورده مـن القرآن، ويحـرص على الذكر والدعاء، دون أن يكـون ذلك ذريعة لترك المقارعـة والمدافعـة، بـل العكس هو الصحيـح، بحيث لو قصرنا في شـيء مـن نوافـل العبادات، احتسـبنا أننا نقوم بمـا هو أهم وأوجب منهـا، كما كان خالـد بـن الوليـد يقـول: (**لقد شـغلني الجهـادُ في سـبيل الله عـن كثير من قـراءة القـرآن**)، ولنضـع الآثار الواردة عن السـلف بالاعتزال فـي رمضان في موضعها الصحيح، حيث كانت دولةُ الإسـلام قويةً مُهَابةً، لها جيوشـها التي تتحـرك فـي كل اتجاه لإسـقاط الكفر وإقامة الحق ونشـر العـدل بين الناس، لهـا جنودهـا المرابطـون على الثغـور الذين يـزودون عن حياضهـا، ويدفعون المعتديـن عـن حدودها، ومن ثَـمَّ كانت الفرصةُ سـانحةً للراغبين من العلماء والدعـاة وغيرهـم أن يتفرغـوا فـي شـهر رمضـان للعبـادات المحضـة وترك الخلطة.

إخوانـي الكـرام: لا أظن أحـدًا منكم لا يعرف كمّ المعانـاة التي يعانيها عموم المسـلمين فـي هذا الشـهر بسـبب تكالـب شـياطين الإنس مـن كل حدب وصوب لإفسـاده عليهم.

فيـا أصحـاب الأقلام الحـرة، ويا أصحـاب الكلمة المؤثـرة، يا دعـاة الخير، قد جاءكـم رمضـان يناديكـم أن «**يَـا بَاغِيَ الْخَيْـرِ أَقْبِـلْ وَيَا بَاغِـيَ الشَّـرِّ أَقْصِر**» (رواه الترمـذي وابـن ماجـه وابن حبان والحاكـم) فهل تكـون النتيجة أن يقبل بغـاةُ الشّـرّ بِخَيلِهِم ورَجْلِهـم وأن يُقْصِر بغـاةُ الخير ويعتزلـوا قومهم!!

والله من وراء القصد.